الأستاذ عباس الزين الطيب
(الميلاد، النشأة، البيئة والمجتمع المحلي)

د. محمد الفاتح حياتي

أستاذ مساعد – قسم الآثار
جامعة الخرطوم

مستخلص:

تتناول هذه الورقة شخصية المرحوم الأستاذ عباس الزين الطيب الذي عمل بمكتبة السودان بجامعة الخرطوم لمدة تصل إلى 50 عاماً. عُنيتْ الورقة بالجوانب الاجتماعية والثقافية التي أثَّرت على شخصيته وحياته، حيث تمت متابعة شخصيته من الميلاد إلى الممات من الناحية الاجتماعية، مع عكس ثقافة الأسرة التي وُلد ونشأ وتربى فيها، والمجتمع الذي عاش فيه بواكير صباه، وملامح تأثير ثقافة المجتمع المحلي على شخصيته، إضافة إلى مراحله التعليمية. كما هدفت الورقة إلى متابعة مسيرة حياته الثقافية والمهنية والمعالم التي أحاطت بشخصيته. خلصت الورقة إلى أنَّ شخصية الراحل عباس الزين تُمثِّل شخصيةً ملهمةً تستحق الاهتمام والتوثيق لتكون قدوة مُثلى للمجتمع.

Abstract:

This paper endeavors to highlight the main characteristics of the late Mr. Abbas El-Zein El-Tayib, who worked in Sudan Library at the University of Khartoum for up to 50 years. The paper focused mainly on the social and cultural aspects that influenced his character and life, as it followed up his personality from cradle to death, with reflecting the culture of the family in which he was born, raised, moreover; the society and environment where he lived during his early youth, as well; the influence of the local community's culture on his personality, in addition to his educational stages. It also aims to follow up his cultural

and professional life, with general aspects that surrounded his personality. Eventually it concluded that the late Abbas El-Zein is a real inspiring figure deserves attention and documentation in order to be an ideal model for society.

توطئة:

الحمد لله الذي زيَّن مقاصيرَ قلوبِ الأصفياء بالنور التام، وكشف البراقعَ عن ألباب الأنقياء وجلا عنها الظلام. أحمده حمداً كثيراً متوالياً، وإن كان يتضاءلُ دون حق جلاله حمد الحامدين، وأستخيره فيما انبعث له عزمي من توثيق هذا الجوهر الثمين. فاللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيدنا محمد، وعلى سائر أنبيائك وملائكتك وأوليائك، من أهل أرضك وسمائك، عدد ما كان وعدد ما يكون، وعدد ما هو كائن في علم الله أبد الآبدين، ودهر الداهِرين، واجعلنا بالصلاة عليهم من الصدِّيقين الآمنين يا رب العالمين.

لقد أنعم اللهُ تعالى على البشرية بقدرٍ وافر من جلائل النِّعم، وكرائم النفحات، وعظائم المواهب، وما لا يحصيه إلا هو سبحانه جلَّ وعلا في ملكوته وتدبير شؤون ملكه. فكان من فضائل ما أنعم الله به على العباد أن جعل منهم أناساً يستفيء المرء بظلال مودَّتهم وكرم أخلاقهم، أناساً أرسلهم الله بلسماً وترياقاً لعباده، يعيشون بين الناس كالنسمة المنعشة، يتلهفون لقضاء حوائج العباد كما تتلهَّف الوالدة لبذل الخير لوليدها، يبذلون أنفسهم لراحة غيرهم ويحضرون عند الحاجة كما يُحضر الماء البارد عند اشتداد الظمأ. فهم أهل الصدق والوفاء الذين أمر الحق سبحانه وتعالى بمعيتهم وعدم مجافاتهم، فقال عزَّ من قائل: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ»([1]). وهم الذين وصفهم الصادق المصدوق عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم في الحديث الذي رواه سيدنا أبو هريرة ﷺ فقال: «قال رسول الله صلى عليه وسلم: إن أحبكم إليَّ أحاسنكم أخلاقا، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليَّ المشَّاؤون بالنميمة، المفرِّقون بين الأحبة، الملتمسون للبراء العنت»([2]). فهؤلاء الأتقياء الأنقياء؛زينة سيماهم الكرم والإيثار والتفاني، وعُمدة شيمهم النُّبل ولين الجانب وبذل المعروف للخلق أجمعين.

اختار خالق الأكوان ومنوَّر القلوب والأفئدة والأبدان من هذه الثُّلة الطيبة المباركة؛ الراحل المقيم الأستاذ عباس الزين الطيب عبد الله ليكون

قـرَّة في جبـين الطيبـين، وروضةَمُونقـةً مـن ريـاض أهـل العـزم المتـين، ونحسـبه منهـم بـإذن مـن خلقـه وزانـه بأسـمى سـمات العرفـان، وأضـاء بـه غياهـب الزمـان والمـكان، ونسـأل المـولى تبـارك وتعـالى أن يجعـل مـا نكتبـه فيـه شـفيعاً لنـا جميعـاً في عرصـات يـوم لا ظـلَّ إلا ظلـه، لطالمـا أننـا نشـهد لـه بأنبـل الصفـات، واقفـين عـلى أروع مـا سـطَّرته لـه الأمكنـة والأزمـان، والأفئـدة والعقـل واللسـان. فقـد أفـاض عليـه الملـك القـدوس جـلّ جلالـه أبهـى حُلـل الجمـال والعرفـان، وأورده أعـذب مـوارد الإيقـان، وقرَّبـه إلى موائـد الإحسـان، وخلـع عليـه مـن خِلـع الرضـوان. فمـا نحـن إلا أنـاس شـهدوا فيوضـات الملـك العـلاَّم عـلى أحـد خلقـه؛ تجسَّـد في شـخص صاحـب القـول الحسـن والفعـل الحسـن؛ الراحـل المقيـم، الأسـتاذ عبـاس الزيـن الطيـب. فقـد تبـدت للعيـان ثمـرات طيبـة الغـراس، وغـدا قطافهـا مناشـداً لمـن يقطفـه، فـكان حتمـاً علينـا مشـاركة الجميـع تـذوق هـذا الينـع المبـارك.

يتجـلى الهـدف الأسـاس مـن تطريـز حِـبَر هـذا السِّـفر المبـارك بـإذن اللـه في سـبر أغـوار شـخصية فقيدنـا المرحـوم بـإذن مـن سـوَّاه فأبـدع خَلقـه وخُلقـه، وغايتنـا المُثـلى مـن ذلـك تتجسَّـد في تسـطير تاريخـه الناصـع وتوثيقـه للأجيـال المتعاقبـة، مسترشـدين بمـا تركـه لنـا مـن قبـسٍ نسـتضيئُ بـه السـبيل لنكتـب مـا جـادت بـه القريحـة ولـو كان ضنينـاً، مسـتلهمين عرائـس المعانـي مـن ذكـراه الطيبـة وروحـه الطاهـرة، مسـتعينين في ذلـك بعـد مـن خَلَـقَ الأبـدان، ونـوَّر العقـل والكِيـان جـلَّ جلالـه؛ بالأهـل والعشـيرة والأصدقـاء والزمـلاء في جمـع أشـتات سـيرته العطـرة وذكـراه الثـرَّة. وفي هـذا المقـام؛ سنسـعى جاهديـن لتقديـم شـذرات مـن سـيرته الأوليـة؛ محاولـين التطـواف عـلى جوانبهـا الثقافيـة والاجتماعيـة متمثلـة في مولـده ونشـأته والبيئـة التـي نشـأ فيهـا والسـياق الثقـافي الـذي عاشـه في بواكـير حياتـه.

صرخة الميلاد:

في حلـة عبـاس التـي تقـع في ربـوع الجزيـرة الخـضراء وتتبـع إداريـاً لمحليـة الكاملـين ووحـدة المعيلـق الإداريـة، وثقافيـاً واجتماعيـاً لمنطقـة الحلاوين؛كانـت لحظة الميـلاد وظهـور بـدر البـدور. ففـي العـام 1944م وفي بيئـة ريفية مشـبعة بالبسـاطة والمـودة ونقـاء السريـرة وُلـد فقيدنـا في بيـت متواضـع ملـؤه الزهـد والصـدق والإخـلاص والـرضى والإيمـان الراسـخ. فوالـده هـو الحـاج الزيـن الطيـب عبـد اللـه (لوحـة. 1)، ووالدتـه هـي الحاجةآمنـة محمـد عبـاس، رحمهمـا اللـه وأسـكنهما

فسيح جناته، ويجمعُ بينهما رباط قرابة الدم اللصيقة، وتُضاف إليه وشائج المحبة والإلفة والسلام. فقد نشأ فقيدنا في بيئة سليمة معافاةٍ من كل ما يشوب الحياة ويكدِّر صفوها، إذ كان ولا يزال مجتمعاً طاهراً نقياً عفيفاً يتوشح ثوب التُّقى والعفاف، ويتزين بزي المحبة والوئام، مجتمعاً خالياً من الصراعات العميقة، بعيداً عن مستنقعات الفتن والشرور والآثام التي تنعكس على شخصية المرء وتأتي عليه بمردود سلبي يتجسَّد في شخصه وسلوكه العام. في هذا الجو الأسري المفعم بالحيوية والطُّهر والنقاء؛ نشأ صاحب الذكرى، فقد كان لهذه البيئة الحسنة الأثر الطيب في تكوين شخصيته، إذ نشأ طيب القلب، نقي السريرة، محباً للخير وباذلاً له.

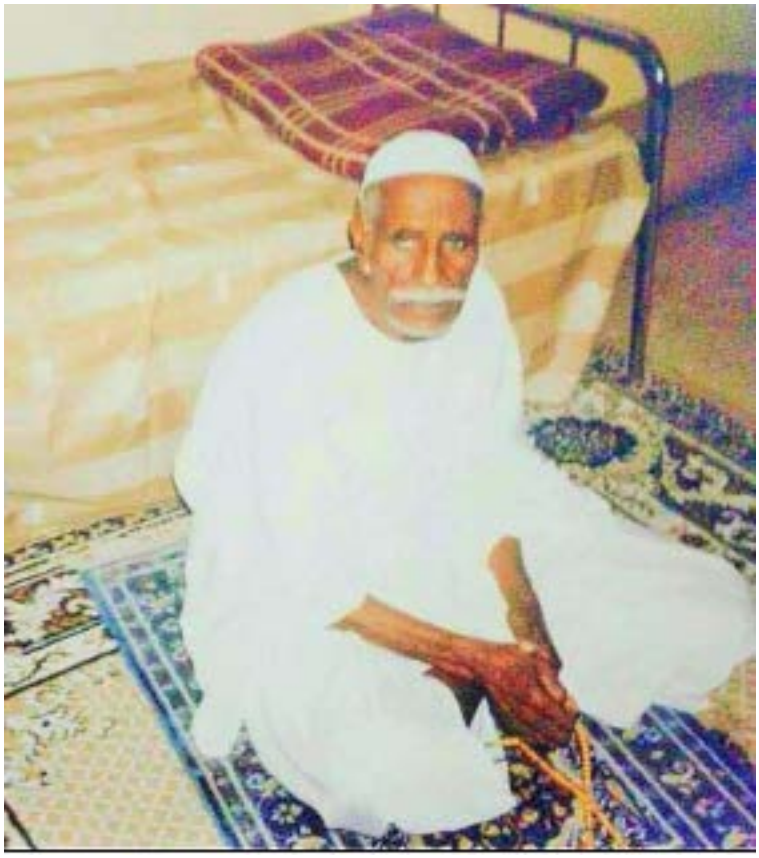

لوحة (1) الحاج الزين الطيب عبد الله، والد الأستاذ عباس الزين.

ينتمي فقيدنا المرحوم بإذن ربه إلى قبيلة الحلاوين، إذ ينتهي نسبه الشريف إلى شجرة الأصل النورانيةالطاهرة المباركة المطهَّرة على منبع الحُسن

وجوهرة الكمال فيها أفضل الصلوات وأتمّ التسليمات وعلى آله أجمعين. وهذا ما وثقته المخطوطات المحفوظة عند الأهل وما تناقلته الروايات الشفهية التي يعطيها الأهل عناية خاصة. كما نقله بعض من وثَّقوا ودوّنوا الأنساب السودانية وتاريخ القبائل العربية في السودان. فهو المرحوم عباس بن الحاج الزين بن الشيخ الطيب بن الفكي عبد الله (درويش البقرات) بن الشيخ علي بن الجبارة بن عبد الله بن موسى بن الفكي بادي (أمُّه فاطمة بنت الفقيه رحمة الحلاوي؛ أحد الأوائل الذين أخذوا الطريق القادري في السودان عن الشيخ تاج الدين البهاري[3]) بن الشيخ كنين الصوفي (ربما كان تلميذاً للفقيه رحمه الحلاوي وصِهره) بن الشيخ محمود الكباري (هو جد النوايلةالطُّرشاب وهم أحد فروع الحلاويين الذين ينتمي إليهم فقيدنا. وكان معاصراً للفكي محمد أبي مطايب والفقيه رحمة بن جمعة الحلاوي، وكان من أهل القرآن والعلم الشرعي[4])بن عبد الله البخت بن إبراهيم شمخ الدين بن محمد خازن بن محمد نائل بن محمد حلو الشمائل(وهو جد الحلاوين) بن السيد محمد أحمدحمد الله الفريدبن السيد محمد رافع (قبره ظاهر بمدينة أبو حمد بشمال السودان [5]) بن السيد عامر بن السيد الحسين بن السيد إسماعيل بن السيد عبدالله بن السيد ابراهيم بن السيد على الرضا بن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه وعنهم أجمعين. هذا النسب أورده الإداري البريطاني هارولد ماكمايكل (H.A.McMichael) في كتابه الموسوم ب: تاريخ العرب في السودان، وذلك في معرض حديثه عن نسب الحلاوين، فقد ذكر أنَّ مخطوطة هذا النسب أحضرها الشيخ عبدالله العركي من مكة المكرمة عندما ذهب للقاء الشيخ تاج الدين البهاري لأخذ الطريق القادري[6]. كما نقل البروفيسور عون الشريف قاسم بعضاً منها عندما تحدَّث الفقيه رحمة بن جمعة الحلاوي وهو جد الرحَمَاب، وهم فرع كبير من قبيلة الحلاوين، ولهم شأنٌ عظيم في المنطقة بأثرها، فقد كانت عندهم نظارة المنطقة [7].

الأستاذ عباس الزين يشبُّ عن الطوق:

كما هو حال السُّلَّم التعليمي في ذلك الزمن؛ يبدأ الأبناء بتعلُّم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم في الخلاوي. ومن تتوفَّر له وسائل التعليم

النظامي المدرسي من رغبة شخصية وتحفيز من الأسرة يذهب إليه. وقد كانت حلة عباس كغيرها من سائر قرى منطقة الحلاوين تهتم بتدريس القرآن الكريم وحفظه. فالغالبية من النشء يذهبون إلى الخلوة ويحفظون القرآن الكريم. وقد قضى الأستاذ عباس عليه رحمه الله زمناً في خلوة القرية، لكنه سرعان ما انتقل إلى التعليم النظامي ليدرس المرحلة الابتدائية بمدرسة قرية مُقْدِر، وهي قرية تقع داخل حدود منطقة الحلاوين وفي محلية الحصاحيصا، وذلك في الفترة من 1952 إلى 1955م. وإبَّان دراسته في هذه المدرسة كان يسكن مع أحد أقربائه، وهو المرحوم السِّر الأمين حاج آدم الذي كان يسكن قرية عجَّان في ذلك الزمان، وهي ليست ببعيدةٍ عن القرية التي توجد بها المدرسة، ما يعني أنَّ فقيدنا كان يتكبَّد مشاقَّ الذهب إلى المدرسة مشياً على الأقدام جيئةً وذهاباً في غالب أيام الدراسة.

بعد قضائه المرحلة الابتدائية في المنطقة؛ انتقل فقيدُنا لدراسة المرحلة الوسطى بمدارس الأحفاد الوسطى بأم درمان، وذلك في الفترة من 1956 إلى 1960م.أكسبت هذه المرحلة الفقيد طيب الله ثراه الكثير من المكتسبات الفكرية والثقافية، فقد جمع فيها بين الإنسان الذي وُلد وتربى في القرية والأفندي الذي نال قسطاً من التعليم النظامي الذي كان يؤهِّله للعمل كموظف في إحدى المؤسَّسات الحكومية أو الخاصَّة.فلم يكن الأمر يسيراً وفي متناول يد الجميع حتى ينالوا هذا التأهيل.

البيئة والمجتمع المحيط:

نشأ فقيدُنا في بيئة ذاخرة بشتى ضروب الثراء الثقافي والمعرفي، وتربى في كنف أسرة تشبعت بروح التصوف والصفاء الروحي. وكان مشروع الجزيرة الزراعي في أوج ازدهاره وعظمته تحت رعاية المستعمِر في ذلك الزمان. وقد تأسست حلة عباس في العام 1898م، وذلك في غضون الحَراك الثقافي الذي أحدثته الثروة المهدية في المنطقة التي احتضنت الثائر محمد أحمد المهدي في بدايات تكوين أفكاره ونضوج دعوته، ومنها انطلقت شرارة ثورته إلى بقية أصقاع السودان[8].وفي أثناء التداعيات السياسية والعسكرية التي اكتنفت الحياة في السودان في العام 1898م رأى الحاج عباس بن محمد بن الشيخ على بن الجبارة، وهو ينتمي إلى قبيلة الحلاوين، وينضوي تحت أحد فروعها الذي يعرف بالحلاوين النوايلة أو الطُّرشاب؛ رأى أنْ يقومَ بتأسيس قرية يجعلها ملاذاً

لأسرته الصغيرة، وطلب من ابن عمه الشيخ الطيب بن الفكي عبد الله بن الشيخ علي بن الجبارة أن يؤازره في سكناه غير اللصيقة بأهله وعشيرته المباشرة في قرى الحلاوين الواقعة إلى الجنوب من حلة عباس بمسافة تربو عن الخمسة عشر كلم[2]. فكان أن تأسَّست القرية في ذلك الزمن، ثم توافدت عليها قوميات أخرى أصبحت جزءاً من النسيج الاجتماعي (لوحة. 2).

لوحة(2) منظر عام لقرية حلة عباس. تصوير: علي عمر إبراهيم.

في ظلِّ هذه التحرُّكات السكانية؛ وبعد ما يزيد عن الأربعة عقود من تأسيس القرية؛ أَذِن مُسبب الأسباب ومجري السحاب جلَّ في عليائه لفقيدنا في أن يلجَ إلى الدنيا، وتتفتح عيناه على إرثٍ حضاري قامت دعائمه على روح التصوف والزهد والسمو الروحي، فوالده الحاج الزين الطيب عبد الله، كان رجلاً صوفياً نقيًّاً نشأ في كنف العارف بالله: الشيخ الطيب بن حاج الصديق بن بدر (ود السائح) عليه رحمة الله، إذ أخذ عنه العهد ولازمه ملازمةً لصيقة، وتأثَّرت روحه به أيَّما تأثُّر بشيخه، فعاش حياة ملؤها حُبُّ الخير للآخرين مع التقوى والورع. وقد كان بناءُ المساجد والزوايا من أبرز مزايا الشيخ الطيب بن السائح، فقد كان الحاج الزين من المشاركين في هذه الإنجازات العظيمة برفقة الشيخ الطيب، أرسل الله على أضرحتهما سحائب الرحمة والرضوان.

أما جده فهو الشيخ الطيب بن الفكي عبد الله، وهو رجل جمع مختلف صفات الكمال، فقد كان فارساً في شتى مضامير الحياة، وكان رجلاً صالحاً ورث عن آبائه وأجداده الفِراسة والصلاح، وهناك الكثير من الروايات

الشفهية التي تتناقلُها الأجيال عن صلاحه وفروسيته، فما تزال الذاكرةُ الجمعية للأهل متَّقدة بالكثير من الكرامات التي رُويت عن الجد الشيخ الطيب بن الفكي عبد الله. وقد تلمذ على الشيخ علي بن عجيلاوي الذي كان يسكن قرية الدبيبة عبد الله، وهي تقع في الناحية الشمالية لحلة عباس. وتقول الروايات الشفاهية أن الشيخ علي بن عجيلاوي كان تلميذاً للشيخ العبيد بن بدر طيب الله ثراه، وهو من ذرية الشيخ طه الأبيض[9]. كان الجدُّ الشيخ الطيب بن عبد الله مخلصاً لشيخه أيَّما إخلاص، وقد رافقه في حياته وفي برزخه، إذ تم دفنه بالقرب من شيخه بمقابر قريةالدبيبة عبد الله، في حين كان أهله يدفنون موتاهم مع أهلهم الحلاوين بالمحيريبا. وأما الجدُّ الثاني لفقيدنا فهو الفكي عبد الله بن الشيخ علي بن الجبارة عليهم جميعاً رحمة الله، وكان يلقَّب ب: «درويش البقرات». فقد أخذ الطريقة السمانية عن الشيخ القرشي بن الزين قدس الله سرَّه، وظلَّ ملازماً لشيخه، وكان قائماً بتدريس القرآن بخلوة الشيخ القرشي بن الزين، فعندما جاء الثائر محمد أحمد المهدي إلى خلوة الشيخ القرشي بن الزين؛ أكمل حفظَه للقرآن على يد الفكي عبد الله بن الشيخ علي. وتقول الرواية الشفهية أنه عندما بدأ الثائر محمد أحمد المهدي بنشر دعوته والتبشير بثورته؛ اعتزلها الفكي عبد الله وقال حديثاً نقله لنا حفيده الدكتور يوسف عبد الله الطيب عن أبيه عن جدِّه الطيب الذي هو ابن الفكي عبد الله. ونصُّ الرواية يقول: «يا ولدي الفترة الجاية دي فترة سفك دماء.. وقد عُرضت على أولياءِ الله في الحضرة فأبوها.. وقَبِلها الفكي محمد أحمد.. أسأل الله أنا ما أحضرها.. وأسأل الله يَمْرُقْ منها الفكي محمد أحمد.. محمد أحمد من أولياء الله..انتهى.»[10]. يرشدنا هذا النقل الشفهي إلى أنَّ الفكي عبد الله لم يكن مؤمناً بمهدية الفكي محمد أحمد. فمحمد أحمد كان تلميذه في الخلوة، وقد أعطاه اسم الله الأعظم ليذكر الله به، وأدخله الخلوة الأربعينية، وهي تقليدٌ راسخ له ما يعضده من الشريعة الغراء عند السادةِ الصوفية. فعندما جاء محمد أحمد الذي عُرف فيما بعد بالمهدي إلى خلوة الشيخ القرشي بن الزين لم يكن قد أكمل حفظ القرآن الكريم، فأكمله على يد الفكي عبد الله بن علي. وقد انتقل الفكي عبد الله مع بداية انتشار الدعوة المهدية، فلم يحضر منها شيئاً، إذ لم يكن مقتنعاً بفكرة المهدية في شخصالثائر محمد أحمد، لكنه كان يُقرُّ له بالولايةِ والصلاح. وقد تبنَّى ذلك الطرح المنتقد للثورة المهدية ومنهجها كثير من علماء ذلك

العصر وإن تباينت أسبابُ نقدهم وأغراضها [11]، فقد ذهب بعض أهل العلم في السودان إلى أن فكرة المهدي موجودة في الأثر الإسلامي، لكنها لا تنطبق على محمد أحمد [12].

لوحة (3)مقام الفكي عبد الله بن الشيخ علي، الجد الثاني للأستاذ عباس الزين. تصوير: مصطفى حسن سعيد.

ظل الفكي عبد الله بن الشيخ علي ملازماً لشيخه الشيخ القرشي يرتع في رياضه الغنَّاء، ويرتشفُ من بحور حقائقه ومنابع رقائقه. وقيل إن والدَه الشيخ علي بن الجبارة كان تلميذاً للقطب الكبير؛ الأستاذ الشيخ أحمد الطيب بن البشير طيَّب الله ثراه، فربما يكون ذلك عن طريق الشيخ أحمد البصير الحلاوي عليه رحمة الله؛ بحكم ووجود الشيخ أحمد البصير في منطقة الحلاوين، إضافة إلى رابطة الدم الحلاوي الذي يجمع بين الشيخ أحمد البصير

والشيخ علي بن الجبارة، فضلاً عن أنَّ الشيخ أحمد البصير الحلاوي يعدُّ أول تلامذة الشيخ أحمد الطيب بن البشير في هذه المنطقة [13]. كما أورد صاحب كتاب معالم وأعلام أن الشيخ محمد بن الجبارة، وهو من قرية الطُّرُش؛ نسبة للطُّرشاب، وهي قرية السنية؛ كان تلميذاً للشيخ أحمد البصير أيضا، والشيخ محمد بن الجبارة هو أخ للشيخ علي بن الجبارة كما جاء شجرة نسب الحلاوين الطُّرشاب[14].

استمر الفكي عبد الله بن الشيخ علي يعمل بالتدريس في خلوة الشيخ القرشي بن الزين إلى أن ابتعثه الشيخُ القرشيُّ في مهمة إصلاح وإرشادإلى مناطق تقع في أواسط الجزيرة وبالقرب من منطقة أبو قوتة، فظل مقيماً في ذلك المكان يرشد الناس ويعلمهم القرآن ويقضي حوائجهم المتصلة بالدين والدنيا، إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى ودُفن بقرية «كِتْرَة» ومقامه ظاهر يُزار في تلك المنطقة[15] (لوحة. 3).وفي هذا المقام؛ توجَّبت إجالة الفكر واستثارة الانتباه إلى أن الفكي عبد الله يُعدُّ جندياً مجهولاً أسهم في غراس أطايب الثمر في شخصية الإمام المهدي عليه رحمة الله، ووجه نحوه أشعَّة الحق والنور، لكنه لم يجد حظاً من التوثيق والمعرفة، فلم نجد له ذكراً فيما سطَّرته الأقلام عن تداعيات الثورة المهدية ومنابعها المعرفية، إذ خلت الأدبيات من أدنى ذكر عن سيرته. لكن هذا الأمر ليس بغريب، فهنالك الكثير من أصحاب العزائم والقِدح المعلَّى في صناعة الأحداث قد غيَّبتهم صفحات التاريخ عمداً أو سهواً. فالأضواء دائماً ما تُسلط على الصفِّ الأول من الذين شهدوا الأحداث وصنعوها. ومن هنا؛ نبذر هذه البذرة لتوثيق هذه الشخصية المعطاءة، سيما وأن المكنونات المعرفية الخاصة به تتجسد في الرواية الشفهية ولا سواها، مع العلم بأن من يحفظون الرواية الأصلية قد رحلوا إلى دار البقاء، فالتحريف والتدليس سيطال الرواية كلما تطاول عليها الأمد، ما يُحتِّم الإسراع في توثيقها.

أما والدة الفقيد الأستاذ عباس الزين وهي الحاجة آمنه محمد عباس؛فقد كانت امرأة فاضلة ورثت الأخلاق المحمدية ونشأت وترعرعت وشابت عليها. وجده لأمه هو الحاج عباس بن محمد بن الشيخ علي بن الجبارة، مؤسس القرية. أخذ الحاج عباس الطريقة القادرية البدرية عن الشيخ العبيد بن بدر، إذ تقول الرواية أنه عاصره في آخر أيامه وتلمذ عليه، واستمرت علاقته بخليفتي الشيخ العبيد بن بدر الأول؛ الخليفة أحمد بن بدر، والثاني: الخليفة حسب الرسول بن بدر. وقد حفظ الحاج عباس القرآن الكريم على

يد الخليفة حسب الرسول بن بدر بأم ضواً بان[16]، وظلَّ ملتزماً بالطريقة القادرية البدرية إلى أن توفاه الله في العام 1940م[17]. وللحاج عباس من المآثر ما يحفظه الأهل وتتناقله الأجيال جيلاً عن جيل. فقد كان رجلاً صالحاً تقياً نقياً عاش حياة كريمة مليئة بالصلاح والورع. ولا ريب أن فقيدنا المترجَم عليه رحمة الله قد ورث الخصال الكريمة عن آبائه وأجداده، فهي ذرية بعضها من بعض، إذ تنقَّلت النُّطف النورانية في أسارير غُرر الجباه إلى أن وصلت إلى محل سر الله المكنون في خلقه، فانبلجت طوالع النور الرباني في فقيدنا طيب الذِّكر والأثر، فأكرِم به خير خلَف لخير سلف.

كانت هذه هي عصارة المرتكزات الفكرية والروحية وزبد خلاصة الآفاق المعرفية المحلية التي تشرَّبت بها روح فقيدنا،إذ توَّجته بلطائف العرفان، وألبسته ثوب الإحسان، فتقبله ربه بقبول حسن وأنبته نباتاً حسناً، فتبدَّى جماله للقاصي والداني.

نشأ الأستاذ عباس في هذه البيئة الخصبة المليئة بالعطاء والبساطة، فقد كان قوامها مرتكزاً على الزراعة وتربية المواشي فيما يرتبط بالاقتصاد المعيشي. وفي ذلك الزمان إبَّان أربعينيات القرن العشرين؛ كان مشروع الجزيرة قد بلغ أشُدَّه، وبدت آثاره على حياة المجتمع، ويمكن أن نستجلي ذلك في التطور الذي ظهر جليا في اهتمام الناس بالتعليم النظامي، إضافة إلى التطور العمراني، إذ عرف أهل تلك المنطقة المباني المشيدة بالطوب الأحمر منذ زمنٍ مبكر. هذا إلى جانب الحراك الثقافي الذي لاحت بوارقه في المنطقة مع عصر الاستنارة ووقوف البلاد على عتبة الانعتاق من الاستعمار، ويُعدُّ إقليم الجزيرة من أوائل أقاليم السودان التي بذرت بذرة المقاومة وسلوك طريق الاستقلال.

كان الفضاء الثقافي في المنطقة بشكلٍ عام وفي القرية بشكلٍ خاص مُفعماً بروح التصوف والقرآن. وقد كان الحلاوين من أكثر الذين تمسكوا بحفظ القرآن الكريم في ذلك الزمن، إذ كان الآباء يحرصون على توريث حفظ القرآن الكريم لأبنائهم وبناتهم، وكانت هذه هي أبرز السجايا التي تُنَشَّأ عليها الأجيال. فقد أُسِّست في القرية خلوةٌ لتحفيظ القرآن الكريم، أقام عمادها الفكي محمد بن الفكي عبد الله بن الشيخ علي بن الجبارة، وهو عمٌّ مباشر لوالد فقيدنا عليه رحمة.وتعاقب عليها شيوخٌ كُثر من داخل القرية وخارجها[18]. وقد نال فقيدُنا شرفَ الانتماء إلى هذه المؤسسة التعليمية، فورد مشاربها ونهل من مناهلها العذبة. ولهذه المؤسسة صنو آخر وشريك أصيل أثرى وجدان

الإنسان السوداني أيَّما إثراء، ألا وهو المسيد. وفي هذا الصدد كان المزاج الصوفي هو التيار الفكري والروحي السائد والغالب في المنطقة وبشكل تقليدي بسيط لا تعتريه التوجهات الفكرية المعقدة ولا المدارس الفلسفية المتباينة، مع أن هذا التيار كان ممزوجاً بنزعة الفكر الثوري المهدوي عند الكثيرين من أهل المنطقة. فالسادة الحلاوين يعدُّون من أوائل الذين ناصروا فكرة الثائر محمد أحمد المهدي. بل إن المنطقة تُعدُّ مدرسة فكرية شاركت في إعداد شخصيته؛ إذ شارك في ذلك الشيخ القرشي بن الزين والأمير محمد بن البصير [19]. ما يعني أن هناك بوتقة فكرية تمازجت فيها ألوان الطيف الصوفي ممثلاً في شقيه؛ الطيف الصوفي الذي يرتكن إلى البُعد عن الصراعات السياسية في جنح إلى السلم ومعايشة الناس وقضاء حوائجهم، وينأى عن مزالق السياسة التي تصرفه عن مهامه المتمثِّلة في إرشاد الناس ومعالجة قضاياهم.

أما الشِّقُّ الآخر فهو الطيف الصوفي الثائر الذي آثر عدم الركون إلى الاستسلام، فرفع راية الجهاد ومجالدة المستعمر. وبالطبع فإن هذا التيار تمثل في الثورة المهدية وأثرها الفكري والروحي في المنطقة.

كان لهذين التيارين الصوفيين موطئ قدم راسخ في المنطقة. فالتيار الصوفي التقليدي كان موجوداً ومتمثلاً في بعض مشارب التصوف التي انتشرت في السودان. فقد أرست الطريقة السمانيةدعائمها في المنطقة على يد الشيخ أحمد البصير الحلاوي الذي تلقَّى إمدادها من القطب الكبير الشيخ أحمد الطيب بن البشير. وكذلك الشيخ القرشي بن الزين الذي أخذ العهد أولاً عن الشيخ أحمد البصير، ثم زاده رباطة وثقة عن الشيخ أحمد الطيب بن البشير. وكذلك فرع البيت الطيبي في منطقة الحلاوين متمثلاً في أسرة الشيخ الصديق بن الشيخ أحمد الرفاعي بن الشيخ أحمد الطيب بن البشير بقرية مناقزا الحلاوين، رضي الله عنهم جميعاً.

أما المشرب الثاني فهو المشرب القادري بمختلف مدارسه، وبخاصة المدرسة البدرية التي توثقت عُراهابوجود بعض أفراد أسرة الشيخ العبيد بن بدر في المنطقة، وتجسد ذلك بشكل أعمق في وجود الشيخ الطيب بن السائح في المنطقة.

وهناك مشرب ثالث فاضت بحوره وجادت به كفُّ الحقِّ على المنطقة؛ وهو الطريقة الختميةالتي أدخلها الخليفة الماحي بن الفكي الجبارة وكان قد أخذها عن السيد محمدعثمان الختم، ثم فتئت تنتشر في المنطقة [20]، إذ سلكها عدد كبير من أهالي المنطقة، ومنهم الفكي أحمد بن منصور رحمه الله، على سبيل المثال لا الحصر، مع أنه جاء متأخراً عن الخليفة الماحي بن الجبارة.

مثلت هذه المشارب الثلاثة الذوق العام في المنطقة. لكن فقيدنا كان أكثر تأثُّراً بالمدرسة القادرية البدرية، إذ كان والده وجدُّه الأول قد ارتويا من فيوضات هذه المدرسة،طالما أن الشيخ الطيب بن السائح هو حامل لوائها وحادي عِيسها. فكان من الطبيعي أن ينال فقيدنا قسطاً وافراً مما أفاض به مديرو الكؤوس على أرواح المحبين. هذا وقد كرع فقيدنا من دِنان هذه المدرسة ذات المنهل العذب، فأثمر فيه ما يدفع الهِمَّة الإنسانية إلى استشراف أطيب المعاني، فنمت فيه شجرةٌ طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها إحساناً وعرفاناً وحباً للخير.ووفقا لروايات الأهل؛ فإن الفقيد كان محباً لأهل الطريق، متعرِّضاً لنفحاتهم. وفي زهرة شبابه وحينما كان مستقراً بالقرية كان فرداً مشاركاً مع الأهل برفقة الشيخ الطيب بن السائح في بناء المساجد في مختلف مناطق الإقليم الأوسط. وقد كان جُلُّ المريدين يشاركون الشيخ في هذه الأعمال الجليلة، سيما وأنَّ قِوامها مبني على العمل الطوعي، فليس هناك جهة رسمية تتبنى هذا العمل وتتكفل به. فهنيئاً لفقيدنا أن يدخل دائرة الذين أثنى عليهم الحق تبارك وتعالى لما بذلوه من عمارة المساجد بالبناء والتعمير بالذكر وبذل النفس والمال إذ قال عز مِن قائل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[21]. هذا بالإضافة إلى شهود المواسم والأعياد في مسائد القوم بمختلف مشاربهم في المنطقة، إذ كان الأهل بالقرية والمنطقة بشكل عام يشكِّلون حضوراً طيباً في مواسم القوم وبرامجهم[22].

نافذة فنية في حياة الفقيد عليه رحمة الله:

كانت القرية تضج بحركة فنية خلال فترة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، وقد بدأ هذا الحراك؛ المرحوم محمد أحمد محمد الطيب، وهو الشقيق الأكبر للفنان الراحل بادي محمد الطيب وابن عم فقيدنا الأستاذ عباس، رحمهم الله جميعاً. وكذلك هناك أفرادٌ آخرين بالقرية حملوا على عواتقهم رفع لواء الحراك الفني بالمنطقة، وأخذوا يثرون حفلات الأعراس وليالي الأنس والثمر ومختلف الأنشطة الثقافية بقرى المنطقة، فلم يكن فقيدنا بمعزلٍ عن هذا الحَراك، إذ كان مشاركاً فيه بشكلٍ أصيل داخل وخارج القرية. وبعد أن انتقل الفنان الراحل بادي محمد الطيب إلى العاصمة الخرطوم، واستوى

على سوقه كمطرب شعبي يتغنى بأغاني الرواد من جيل الحقيبة الأول والثاني، ورواد المدارس الوتَرية الأولى والثانية، وأصبحت له أغنيات خاصة به، وصنع له حيزاً كبيراً في خارطة الغناء السوداني، وأُفُقاً شاسعاً في وجدان المستمع السوداني؛ رافقه فقيدنا في مسيرته الفنية لفترة من الزمن ليست بالقليلة، إذ عمِل كعضو بالفرقة المصاحبة في وظيفة عازف للإيقاع (لوحة. 4). ويقول شقيقه الأستاذ عمر الزين الطيب أنه قد انضم إلى فرقة الفنان بادي محمد الطيب في العام 1965 وظل ملازماً له حتى العام 1985(23). ولم يكن هذا العمل عنده عبارة عن مهنة يتكسَّب منها المال، بل كانت هواية يمارسها مع ابن عمه بادي محمد الطيب. فلم يكن يتعامل مع المطربين الآخرين إلا في حفلات مشتركة مع الفنان بادي، أو خلال تسجيلات مشتركة في الإذاعة أو التلفزيون (24). كانت الفترة التي عمل فيها مع ابن عمه الفنان بادي محمد الطيب عبارة عن عشرين عاماً حافلة بكل ما هو جميل ورقيق وطيب. بل إنه ساكن ابن عمه الفنان بادي محمد الطيب بمنزله في حي العباسية بأم درمان لفترة تربو عن الثلاثة عقود. وبعد أن ترك العمل في هذا المجال لم يترك خلفه إلا السيرة الحسنة واحترام الزمالة ودماثة الأخلاق، وذلك بشهادة من رافقوه في ذلك العمل.

لوحة (4) الأستاذ عباس الزين عازفاً للإيقاع مع الفنان بادي محمد الطيب.

الحياة المهنية للفقيد طيَّب الله ثراه:

عاش الفقيد بين أهله في القرية فترةً من الزمن، فمنذ أن كان طفلاً إلى أن أصبح شاباً في العشرينيات من عمره؛ كان ملازماً لوالده بالعمل معه في الزراعة، فقد كان والده يملك أرضاً زراعية تقع ضمن نطاق مشروع الجزيرة المروي، فكان خير معين له في كافة أعمال فلاحة الأرض، مع العلم بأنه لم يكن متفرغاً بشكل كامل للزراعة، إذ انتقل من القرية بحثاً عن التعليم النظامي، لكنه وبشهادة الأهل لم يكن يجلس عاجزاً عن مساعدة الأهل في أعمال الزراعة في أوقات فراغه، علاوة على ذلك؛ كان لوالده دُكانة تبيع السلع الاستهلاكية لسكان القرية، فكان الفقيد يساعد والده بها (لوحة. 5). وبعد أن تخرج من المدرسة الوسطى؛ ظل يعمل بالزراعة لفترة من الزمن، إلى أن انتقل إلى الخرطوم واستقر بها وظل مرافقاً للفنان بادي محمد الطيب.

لوحة (5) المنزل الذي تربى فيه الفقيد وبجانبه دُكانة والده في قرية حلة عباس بالحلاوين.

بعد أن نال فقيدنا ما يؤهله للالتحاق بالسلك الوظيفي في القطاعين الحكومي والخاص؛ جاءته الفرصة للالتحاق بجامعة الخرطوم للعمل بمكتبتها، وذلك في العام 1968. وظل يعمل بمكتبة السودان التي تُعد إحدى فروع المكتبة الرئيسة بجامعة الخرطوم، لكنها كانت ولا تزال مختصة في عرض أدبيات الدراسات السودانية وتقديم خدمات الاطِّلاع للباحثين بكافة مراحلهم

الدراسية والبحثية. وقد ظل فقيدنا ملازماً لمكتبة السودان إلى أن تقاعد للمعاش في العام 2005م. ولم يفارق المكتبة التي أحبها وأحبته وعرفها وعرفته حتى بعد سِنِّ المعاش، بل ظل يعمل بها إلى أن توفاه الله (لوحة. 6). وفي هذه المكتبة كُتبت قصة حياته الحقيقية وعرفه الناس وظل نبراساً وأنموذجاً يُحتذى ومثالاً للإنسان الكامل. رحمه الله رحمة واسعة.

لوحة(6) الأستاذ عباس الزين الطيب في أزهى ملامح شبابه.

جانب حِرَفي في حياة الفقيدنوَّر الله قبره:

لقد جمع فقيدنا صنوفاً من المعارف والمواهب والإبداعات. وفي هذا المقام جاء إبداعه متجسداً في حرفة الخياطة، فقد كان بدُكانة والده ماكينة خياطة يعمل بها بعض أفراد الأسرة، فضلاً عن بعض الخياطين المتفرغين

لهـذه الحرفـة. وهنـا وجـد فقيدنـا فرصـة لتعلُّـم الخياطـة وتفصيـل الملابـس، سـيما الرجاليـة منهـا، فـكان يسـتغل أوقـات فراغـه للعمـل بالخياطـة، فيخيـط ملابسـه وملابـس الأسرة، مـع العلـم بأنـه لـم يحترفهـا للتكسُّـب، بـل كان يرتادهـا مـن حـين إلى آخـر وعنـد الحاجـة. وكان يجـد المتعـة في رتـق مـا تفتَّـق مـن ملابـس الأسرة وإصـلاح عطبهـا، كمـا كان يهتـم بتفصيـل ملابـس الأطفـال البلديـة كالجلابيـب وملحقاتهـا. واسـتمر يمـارس هـذا العمـل ممارسـة الفنـان الـذي يجـد لـذَّةً في التفصيـل والتطريـز، وظـل ملازمـاً لـه مـا حانـت لـه فرصـة لزيـارة القريـة حيـث البيـت الكبـير وماكينـة الخياطـة التـي عشـقها وعشـقته، إلى أن وافـاه الأجـل المحتوم. وهـذه الماكينـة التـي رافقتـه زمنـاً طويـلاً مـن عمـره لا تـزال موجـودة (لوحـة. 7)، وأدوات الخياطـة خاصتـه مـا زالـت موجـودة محفوظـة في دولابـه الخـاص بالقريـة.

لوحة (7) ماكينة الخياطة التي كان يعمل بها الفقيد في أوقات فراغه.

أَرَجٌ من نفح الطيب:

تجلت أفضال الحق تبارك وتعالى على فقيدنا ورحمته به في أن جعله سمحاً طيباً عطوفاً رؤوفاً. ومن هنا؛ يمكننا حصر سماته الشخصية في خمس خصال تمثلت في: الأدب، الحياء، الزهد، قِلة الحديث، الإيثار. تالله إن هذه لهي أركان التصوف التي تزيَّا بها أربابُ النُّهى والقُرب من الحقِّ تبارك وتعالى. وكانت هذه الخصال هي قطب الرَّحى الذي دارت فيه حياته. ولا شك أن من يتحلى بهاتيك المعاني السامية سيكون طيب النفس نقيّ السيرة، ولن تخالج دخيلته أدنى أمراض القلوب التي تعكر صفو الإنسان وتهوي به في مهاوي الدنيا الذليلة وملذاتها التي تجعل الإنسان كالأنعام بل أضلُّ سبيلاً، وتُبعده عن الترقِّي في مدارج السمو الروحي.ولا نقول ذلك من ضرب الخيال، فقد رفدتنا الكثير من الأحداث والموافق بشذرات من طيب أخلاقه وحسن معشره. كما حاولنا استقصاء واستقراء ذلك من معارفه وأهله وأصدقائه، وكلهم يلهج بأسمى آيات الآداب والحكمة التي كان يتحلى بها فقيدنا. ولعل ذلك يبدأ بفضائل تعامله مع أهله وأقاربه، وهو في ذلك ممتثلٌ لأمر الحق تبارك وتعالى حين قال وهو عز مِن قائل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[25]، وقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها: «خيركم؛ خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[26].

نال فقيدنا أعلى درجات الحب عند والديه، فقد حَظي غير الحب الفطري الذي يكنُّه الوالدان لأولادهما بحظوات واسعة من الحبّ، وذلك نابع من تقديره وأدبه الجمّ معهما، فقد أخبرني أحد أفراد الأسرة أن الفقيد كان عطوفاً على والديه أشد العطف[27]، وكان باذلًا لنفسه في سبيل تلبية ما يطلبانه، ولا يتأخر عن ذلك مهما كانت الأسباب. كماكان الأبَوَان أشد حرصاً على راحته والحفاظ على ممتلكاته. وعلى الرغم من أن كل الصفات أعلاه هي مشاعر طبيعية وسجايا روتينية بين أفراد الأسرة الواحدة وبين الوالدين والأبناء إلا أن فقيدنا قد زاد عليها بمزيد من حسن الخُلق والحياء.

كما أبهر فقيدنا العقول بحسن فعاله مع أفراد الأسرة القريبة والممتدة، فقد كان الصغير عنده مجَاب الطلبات قبل الكبير، فما طلب إليه أحد شيئاً إلا وقضى له حاجته ولو كانت تلك الحاجة من باب الدُّعابة، إذ أفنى حياته في راحةِ أهله وأصدقائه، وكان يبذل في ذلك كل ما يملك من غير منٍّ ولا أذى. وفوق ذلك كان الفقيدُ مشاركاً لأهله في كلِّ أفراحهم وأحزانهم في القرية أو

العاصمة، إذ كان سبَّاقاً لتأدية واجب العزاء في كل أفراد القرية من أهله وغير أهله، وذلك بالسفر من الخرطوم إلى القرية. وقد استمر على ذلك حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى، فلم يمنعه تقدُّم السن وضعف البدن ولا الظروف المادية.

كان الفقيد مثالاً نادراً في زهده وجفائه للدنيا الفانية، فلم يعرف عنه جمع المال والاهتمام به واللُّهاث وراءه،إذ اقتصر عمله على مكتبة جامعة الخرطوم، فكان يتقاضى مرتبه الحكومي ولا يبحث عن زيادة له، ويعيش بذلك راضياً كل الرضى، وتبدو السعادة في إهابه. فقد كان بسيطاً في أكله وشربه ومظهره وتعامله مع الناس، بعيداً كل البُعد عن التكلف والانزلاق خلف ملذات الدنيا. وكان فوق ذلك يُعظِّم نعمة الله وفضله عليه وعلى الناس، فقد رأيته بأمِّ عيني وهو يجمع ما تبقى من طعامه في الكافيتريا فيأخذه معه ليأكله من يحتاجه من الناس، وإذا لم يجد أحداً من الناس نثره للطيور في حديقة المكتبة.

كان الاطِّلاع والمسامرة بقراءة مختلف الكتب التي تتناول شتى المجالات من أهم سمات فقيدنا عليه رحمة الله، فقد أخبرني أحد أقاربه أنه كانت له عادة ثابتة، وهي أنه عندما يخلُد إلى النوم كان يتناول كتاباً ويقرأ فيه إلى أن يداعب الكرى عينيه فيضع الكتاب جانبا.وعندما يأتي إلى القرية في زياراته الروتينية كان يُحضر معه بعض كتبه الخاصَّة أو بعض النسَخ المصوَّرة من الكتب، ويمارس فيها عادته المفضلة وهي القراءة قبل النوم. وفي آخر أيامه استبدل ذلك بالتركيز على قراءة القرآن الكريم، إذ كان يُكثر منها، وقد شهدناه في المسجد وهو ممسك بالمصحف على الدوام قبل وبعد الصلاة، وكثيراً ما كان يمكث لمدة من الزمن في المسجد بعد الصلاة. بل وكان كثيراً ما يختلي بربه في أويقات السحر وتنزُّل الرحمات واقفاً بين يدي الحق عز وجلَّ مصلياً وتالياً لآيات الكتاب العزيز. جاء ذلك على لسان أحد من أخذنا عنهم آثاره ومآثره [28].عاش فقيدنا حصوراً عفيفاً كابحاً لجماح النفس عن التبذُّل والانحطاط. فأنعِم بها من حياة كريمة لها ما بعدها من النعيم بإذن رب العالمين.

أجدني واقفاً أمام علمٍ من الأعلام الربانية، وطودٍ أشمَّ كسته الأسرار النورانية، إذ أجد نفسي عاجزاً عن جمع أشتات هذه الشخصية الفريدة، وناكباً

عن الطريق التي توصلني إلى دقائق الحقائق ولطائف الرقائق التي تساعدني على التنقيب عن مكنوناتها الطيبة، فإنني أقف أمام أنموذج حي من النماذج التي وصفها الشيخ عبد الغني النابلسي حينما قال:

دخلوا فقراء إلى الدينا**وكما دخلوا منها خرجوا

إذ كانت الدنيا عنده مجرد محطة توقف عندها لبُرهة لم يأخذ منها شيئاً من المتاع، فقد عاش وحيداً لم يتزوج ولم يداعب أطفالاً من صُلبه، مع أنه كان يحب الأطفال أشد الحب. وفوق ذلك لم يكتنز المال ولم يجرِ خلفه. فهو رجل جاء إلى هذه الدنيا كالغيمة التي تتسلَّل والشمس في أوج حرِّها، ورحل كالشمس التي غربت والناس في أشد الحاجة إليها خوفاً من الظلمة والبرد. عاش خفيفاً بين الأهل والمجتمع، فلم يُثقل على أحد حتى في آخر أيامه، فمِن أجل بوارق العناية الإلهية به أن انتقل إلى رحمة مولاه وهو يعتمد على نفسه في حركاته وسكناته، فلم يلزم الفراش ويصبح ثقيلاً على من يلازمونه، إلى أن أزفت لحظة الرحيل، إذ فاضت روحه إلى بارئها في الثامن من شهر رمضان المبارك من العام 1442هـ الموافق للثاني من مايو 2020م، ووُري الثرى بمقابر الشيخ حمد النيل بأم درمان.

كان هذا العمل فرصةً طيبة أتيحت لي حتى أُوثِّق لرمزٍ نادر الوجود، فقد طربت نفسي أيَّما طرب وأنا أقفُ أمام تاريخ حافل بكل ما هو جميل وأسرد تفاصيله الشائقة. وقد طفِقتُ أبحث عن كل ما يعينني على تحبير مسودة أسطِّر في صفحاتها حياة الفقيد الأسرية والبيئة التي نما فرعه وأزهر شبابه فيها، فلم أجد عناءً في ذلك لأنني قصدت الأهل والعشيرة، ولسان حالهم يُنبئ عن السعادة التي غمرتهم وهم يروون عنه أطيب الكلام، فهو رجل قد تربع على عرش المحبة، وتسنَّم أسنى ذُرى المجد في قلوب الأهل والأصدقاء وزملاء المهنة. ولا يسعُنا إلا أن نتوجه إلى الكريم المنَّان؛ متوسِّلين إليه بذاته وصفاته وأسمائه الحسان أن يُنزل فقيدنا منازل الصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً وأن يُدخله في شفاعة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلّم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا محمد النور وآله، عدد كمال الله وكما يليق بكماله، والحمد لله أولاً وآخراً.

الهوامش:

(1) التوبة، الآية: (119).

(2)رواه الطبراني في «الأوسط"(7697).

(3)محمد النور بن ضيف الله، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقيق يوسف فضل حسن، الطبعة الأولى. دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، 1971.

(4)رواية شفهية، الماحي محمد عثمان منصور، السنية الحلاوين، مزارع، 2018.

(5)محمد الطيب عمر، شجرة نسب الحلاوين، المطبعة الحكومية، الخرطوم، 1965.

(6) McMichael, H. A. 1922. A History of the Arabs in the Sudan, In Two Volumes. Cambridge University Press.

(7)عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، الجزء الثاني، شركة أفروقراف للطباعة والتغليف، الخرطوم، 1996.

(8)محمد إبراهيم أبو سليم، الحركة الفكرية في المهدية، الطبعة الثالثة، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1989.

(9)رواية شفهية، حسب الرسول بابكر إدريس، الدبيبة عبد الله، مزارع، 2022.

(10)عمر عثمان علي وآخرون، قيد الطبع، آل الطيب عبد الله، تاريخ مشرق وعطاء غير محدود، كتاب توثيقي لأسرة الطيب ود عبد الله.

(11)عبد الله علي إبراهيم، الصراع بين المهدي والعلماء، الطبعة الثانية، دار نوبار للطباعة، 1994.

(12)محمد إبراهيم أبو سليم، الخصومة في مهدية السودان، كتاب في تاريخ فكرة المهدية إسلامياً وسودانياً، إصدارات مركز أبو سليم للدراسات، الطبعة الأولى، الخرطوم، 2004.

(13)رواية شفهية، الشريف أبو كساوي محمد عبد الله، حلة عباس، مزارع، 2010.

(14) صديق البادي، معالم وأعلام، شركة المروة للطباعة والنشر، 1994.

(15)عمر عثمان علي وآخرون، مرجع سابق، ص 8.

(16) رواية شفهية، الأمين بشير عباس، حلة عباس، مزارع، 2021.
(17) محمد معتصم الطيب، بدون تاريخ، عن قريتنا حلة عباس وعن الحلاوين وأسماء بعض القرى، بحث غير منشور، بدون تاريخ.
(18)محمد معتصم الطيب، نفس المرجع، ص 6.
(19)محمد الطيب البصير، سلسلة أعلام الحلاوين (1) الأمير محمد الطيب البصير (ود البصير) نائب الإمام المهدي وأمير أمراء الجزيرة. الطبعة الأولى، مطابع السودان للعملة، 2010.
(20)عثمان حمد الله، التعارف والعشيرة. دار الثقافة، بيروت. 1965.
(21)سورة التوبة، الآية 18.
(22)رواية شفهية، أحمد الطيب محمد الطيب. حلة عباس، مزارع، 2021.
(23)رواية شفهية، عمر الزين الطيب، الخرطوم، موظف متقاعد، 2021.
(24)دفع الله محمد الطيب، أم درمان، موظف متقاعد، 2021.
(25) سورة الشورى، الآية 23.
(26)جامع الترمذي، أبواب المناقب، باب في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم 3990.
(27)رواية شفهية، أحمد الطيب محمد الطيب. حلة عباس، مزارع، 2021.
(28)رواية شفهية، أحمد الطيب محمد الطيب. حلة عباس، مزارع، 2021.